ISSN : 2523 – 1871

مقارنة بين الأسرتين الأيسورية و العمورية 717 – 967 م

أ.حنان إبراهيم محمد الورفلي•

المستخلص:

تركز الدراسة على الأسرتين الأيسورية والعمورية من حيث توليهما العرش، ودراسة السياسة الداخلية والخارجية لكل منهما، وتكمن أهمية الموضوع في إلقاء نظرة موضوعية شاملة ومختصرة على جوانب الدولة البيزنطية في ظل هاتين الأسرتين، كما تهدف الدراسة إلى معرفة أوجه الاتفاق والاختلاف بين الأسرتين، ودراستهما بشكل مستقل ومختصر، وذلك لمعرفة أهمية هاتين الأسرتين، ومدى تأثيرهما في تاريخ الدولة البيزنطية، ومعرفة الإصلاحات التي قامت بها هاتان الأسرتان، وأسباب اضمحلالهما؛ لكي نصل إلى جوهر الموضوع وهو المقارنة بينهما. من نتائج الدراسة: (1) وجود اختلاف كبير بين الأسرتين في تاريخ الدولة البيزنطية، فكان هذا الاختلاف يتمثل في السياسة الدينية لكل أسرة. (2) أن الأسرة العمورية هي امتداد للأسرة الأيسورية، مع اختلاف في الاسم فقط. (3) اهتمت الأسرتان بإنقاذ الإمبراطورية وحمايتها من الصراعات الداخلية والخارجية، وأيضا اهتمت كل منهما بالنظم الإدارية المالية والاقتصادية، فضلا عن تميزهما باستخدام الدبلوماسية.

الكلمات المفتاحية: الدولة البيزنطية – الأسرة الايسورية – الأسرة العمورية.

الأسرة الأيسورية 717 – 802 م

كانت أحوال الإمبراطورية في أواخر أيام حكم الأسرة الهرقلية سيئة للغاية، حيث استشرى الفساد في جميع مصالح الدولة، وتدهور التعليم، وكانت الخزانة خاوية، والفوضى عارمة، فضلا عن انحلال النظام العسكري، والحروب الأهلية الناتجة عن الصراعات حول العرش، إضافة إلى الحروب الخارجية، فكانت الإمبراطورية في حاجة إلى من ينقذها، هذا المنقذ هو ليو الأيسوري، الذي أسس أسرة جديدة حاكمة هي الأسرة الأيسورية (يوسف،1990 م).

• عضو هيئة تدريس بقسم التاريخ جامعة بنغازي.

تولى حكم الأسرة الأيسورية سبعة أباطرة، يأتي على رأسهم الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري (717– 741م)، وقسطنطين الخامس (741– 775م)، وليو الرابع (775– 780م)، إضافة إلى الإمبراطورة إيرين (780– 797م) . وسيقتصر حديثنا عن أبرز الأباطرة وهم:

1- ليو الثالث الأيسوري Leo III (717– 741م):

يعود نسب الأسرة الأيسورية إلى أيسوريا (ISauria) جنوب شرق آسيا الصغرى – وكان ليو رجلاً طموحا قوي الإرادة، لديه مواهب عسكرية ودبلوماسية، فاستطاع تولي العرش عام 717م، بعد أن اضطربت شؤون الإمبراطورية في أواخر عصر الأسرة الهرقلية (610–717)، فأبدى إثر ذلك ثيودوسيوس – آخر أباطرتها– رغبته في التنازل عن الحكم؛ لعدم قدرته على ضبط زمام الأمور؛ فقام بدعوة بطريق القسطنطينية ومجلس السناتو وكبار رجال الدولة،

فوافق الجميع وتسلم زمام الأمور ليو وتُوِّج في كنيسة أيا صوفيا• وأسس أسرته الأيسورية (Ostrogorsky،)1956) .

أهم أعماله:

1- مواجهة الحصار الإسلامي للعاصمة البيزنطية 717– 718م :

بعد فتوحاتهم الإسلامية في بلاد الشام ومصر وشمال أفريقية، أعاد العرب المسلمون التفكير مرة أخرى في فتح القسطنطينية، بعد كل المحاولات الفاشلة السابقة في القرن الأول الهجري /السابع الميلادي، الأولى كانت في عام 49 هـ – 668م في عهد معاوية بن أبي سفيان (41– 60هـ / 661– 680م)، والتي باءت بالفشل، والمحاولة الثانية عام (54هـ – 673م) بدأ الحصار الفعلي للعاصمة برًا وبحرًا ولكنها أيضا باءت بالفشل؛ ولكن نجحوا في فتح بعض الجزر القريبة منها (الطبري،

• آيا صوفيا : آيا لفظ يوناني معناه القديس أو القديسة ،وهو مستعمل في معظم اللغات الأوربية . صوفيا : كنيسة تقع في القسطنطينية، وتمثل أروع الفنون البيزنطية في زمن جستنيان الأول (527–565م) وقد بنيت في الفترة ما بين 532–537م بإشراف المعماريين أنتيموس وأيسيدور ،وكانت تسمى تقريبًا عام 400م صوفيا من غير الأداة ،وفي القرن الخامس الميلادي كانت تسمى (أكيا صوفيا) وقد تعرضت لنكب الزلازل والحرائق، وقام جستنيان بإعادة بنائها وهي تمثل أكبر مسجد في القسطنينية بعد الفتوحات الإسلامية . (العريني ، 1982م) .

1901 م) .أما المحاولة الثالثة فكانت بين عامي (717- 718م)في عهد سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/ 715- 717)، و أخفقت هذه الحملة أيضًا، وذلك عدة أسباب منها:

- سوء الأحوال الجوية، وشدة البرودة، وحصانة العاصمة نفسها بعدد من الأسوار يصعب اقتحامها (منصور، 2003 م).
- نجاح البيزنطيين في الحصول على المعلومات من خلال عمليات التجسس في معرفة استعدادات العرب المسلمين، لذلك أحسوا بطول الحصار، وعملوا على تخزين السلع التموينية (عوض، 2007م).
- ومن أهم الأسباب السلاح الذي استخدمه الدفاع البيزنطي، وهو النار البحرية التي عرفت بالنار الإغريقية•*وسيلة دفاعية، ساعدت في حرق عدد كبير من قطع الأسطول الإسلامي، وفي بث الرعب والهلع في نفوس المحاصرين للمدينة (العبادي، 1972 م). أما بالنسبة لدور ليو فتجلى فيما سلكه من خطة الدفاع عن العاصمة، فقد أغلق مدخلها بسلسلة من الحديد، وشحن أسوارها بالجند، ودرج على إرسال سفن النار الإغريقية؛ لتزيد من متاعب السفن الإسلامية (vasilieV.1958).

2- تشريعاته: -

أما فيما يخص التشريعات القانونية فقد أصدر مجموعة قانونية عرفت باسم الإكلوجا (ECLOga) مشتقة من المصطلح اليوناني ekloge، وتعني المجموعةأو التشكيلية، وهي المجموعة القانونية التي تلت مدونةجستنيان الأول (527- 565م) في القرن السادس الميلادي، وقد دونها ليو باللغة اليونانية عوضا عن اللغة اللاتينية (Ostrogorsky. 1956).

وهذه الإكلوجا حوت جوانب متعددة في القانون المدني، منها ما اتصل بالزواج، والميراث والودائع والأمانات وغيرها (عوض، 2007م) . كما أصدر قوانين خاصة بالقانون البحري، تضمن بعض المواد

• النار الإغريقية: عبارة عن مخلوط كيماوي قابل للانفجار، ويجري قذفه بأنابيب خاصة فإذا احتك بسفينة العدو اشتعل واحترق ، ومن خصائصها أنها تشتعل في الماء ، وقد اكتشفها شخص سوري الأصل يدعَى كالينيكوس وهو من مدينة بعلبك ببلاد الشام التي تركها ورحل إلى القسطنطينية بعد الفتوحات الإسلامية (العريني ، 1982م)

التي شجعت على إنشاء الأساطيل التجارية؛ لإنعاش التجارة البحرية، كما أصدر قانونًا زراعيًا يخص الأراضي الزراعية والماشية وما إلى ذلك، فضلاً عن إصداره القانون العسكري لفرض العقوبات على الجند (عبيد، 2010م).

3- سياسته الدينية:

أما دينيا؛ أي موقف ليو من الأيقونات• فقد واجه صراعًا دينيًا مريرًا حولها، مما جعله يشن هجوما عليها لمحاربتها، فأصدر مرسوما عام 726م حرم فيه عبادة الأيقونات، وانتهى عصره وبقيت مشكلة الأيقونات ليتصدى لها ابنه قسطنطين الخامس من بعده (عبيد،2010م).

2- قسطنطين الخامس cons tantin V (741- 775م):

كان قائدا عسكريًا محنكًا، وامتاز عصره بطابع الاستقرار الداخلي إلى حد ما، هذا ما جعله يتفرغ للأخطار الخارجية (عمران، 2004م)، وهو من أشهر أباطرة الأسرة الأيسورية، وقام بالعديد من الإصلاحات، ساعدت على إنعاش أحوال البلاد، واهتم بالزراعة، وعمل أيضًا على تنشيط التجارة، وذلك بتأمين الطرق، والقضاء على قطاعها، كما أهتم بالعاصمة نفسها وعمل على تعميرها ؛ كما كان له دور كبير في انتعاش الحياة الاقتصادية مع بداية حكمه توقف التهديد الإسلامي؛ وذلك لانشغال المسلمين بأوضاعهم الداخلية؛ نتيجة سقوط الخلافة الأموية عام 750م، وقامت على أعقابها الخلافة العباسية فانتقلت بذلك الخلافة من دمشق إلى بغداد (عمران، 2004م)،وكانت السياسة العباسية قد التزمت سياسة الدفاع، فيما تبنى البيزنطيون سياسة الهجوم، غير أنه لم يستمر الأمر طويلًا، فعندما نظمت الخلافة العباسية أمورها اتخذت موقف الهجوم، وأصبحت الحرب سجالا بين الطرفين (عبيد، 2010م) .

أما موقف قسطنطين من البلغار فقد وضع حدًا لتحركاتهم، وخسر هؤلاء من قواتهم، وشلت أجهزتهم الإدارية، وقد انتصر على البلغار، وبسبب ما يتمتع به من ذكاء وحنكة شن عليهم حملاتٍ عدة

• الأيقونة (Icon): مشتقة من كلمة (EIKO) في اليونانية ومعناه يشبه أو يماثل ، والاسم (Eikoh) يعني صورة مقدسة، ويسمى محطم الصور إيكونوكلاست (IchocLast) ومعارضة عبادة الأيقونات تسمى ايكونوكلاسم (عوض ،2007م) .

بين أعوام(759– 775م)، وتوغل داخل أراضيهم، وبدأ الصراع على أشده عام 763م، وانتهى بهزيمة البلغار، ولكن هذه الهزيمة لم تعن النصر الحاسم للإمبراطورية، وظل قسطنطين حتى أواخر حياته يقوم بالغارات على البلغار، إلى أن مات في إحدى هذه الحملات عام 775م (عمران، 2004م).

أما سياسته الدينية تجاه الأيقونات فكانت أكثر تشددًا من والده، فقد اتسمت بالعنف والشدة مع الأيقونات وأتباعها (عبيد، 2010م).

3- ليو الرابع الخزري LEO IV (775– 780م):

اتسمت بداية حكمه بتخفيف حدة العنف والصراع ضد عباد الأيقونات؛ لأنه كان معتدلاً، حيث توقف عن مهاجمة عباد الصور والتماثيل، حتى رفعوا رؤوسهم وتمردوا على الإمبراطورية، مما جعله يغير سياسته اتجاههم، وقام باضطهادهم.

أما سياسته الخارجية مع العرب المسلمين والبلغار فتمثلت بصدهم والوقوف بوجه حملاتهمٍ مع بلاده، إلا أن محاولاته لم تكن جميعها موفقة (عبيد، 2010م)، إذ لم يقدر له أن يعمر طويلاً فقد مات مسلولا بعد خمس سنوات تقريبًا من توليه الحكم، وخلفه ابنه قسطنطين السادس (780–797م)، ونظرا لكونه صغيرا فقد أصبحت والدته إيرين هي وصية عليه (يوسف، 1990م). ولكن عندما بلغ سن الرشد أخذ يطالب بالعرش، فتقاسم الحكم مع والدته، ولكن الأخيرة دبرت له مؤامرة انتهت بسمل عينيه لتتولى الحكم بمفردها، واتخذت من بعده لقب إمبراطورة (عبيد، 2010م).

4-الإمبراطورة إيرين Iren (797– 802م):

حكمت إيرين بمفردها خمس سنوات، وأسوأ صفة التصقت بها تجردها من كل معاني الأمومة والإنسانية بعد سمل عيني ابنها، وذلك من أجل نيل الشهرة والعرش، أما سياستها الدينية فكانت من أنصار عبادة الأيقونات، ولمناصرتها لها كسبت تأييدًا شعبيًا كبيرًا بالرغم من وجود معارضين لها، وقد دخلت في صراعات داخلية، وواجهت الأخطار الخارجية (عمران، 2004م).

أما عن الخطر الإسلامي فبعد استقرار المسلمين في بغداد، و تنظيم أمورهم الداخلية، جددوا هجومهم على الإمبراطورية، وكان ذلك في عهد الخليفة هارون الرشيد (786–809م)، وكان الذي يسير

أمور الإمبراطورية وقتذاك الإمبراطورة إيرين، التي ليس لها دراية كافية بالسياسة، فوجد المسلمون فرصة في ذلك عام 781م، حيث توغلوا داخل آسيا الصغرى حتى وصلوا إلى مدينة كريز بوليس (Chrgsopolis)، ولكي تتخلص إيرين من هذا الخطر عقدت صلحا وعهدا عام 783م جرى بموجبه دفع جزية سنوية، وتكرر ذلك عام 798م.

وفي عام 799م التقى الأسطولان البيزنطي والإسلامي في الخليج المقابل لمدينة أضاليا، ودارت معركة انتهت بهزيمة بيزنطة، كما تلقوا أيضا الهزيمة على أيدي البلغار.

امتلكت إيرين كرسي العرش حتى عام 802م، وجاءت نهايتها على يد نقفور وزير خزانتها بمساعدة رجال البلاط، حيث قبض عليها وأُرسلت إلى أحد الأديرة (عمران، 2004م).

ومهما يكن من أمر فقد تولى أمر الإمبراطورية خلال الفترة الممتدة من 802– 820م عدد من الأباطرة، أطلق عليهم خلفاء الأسرة الأيسورية، وتميزت هذه الفترة بكثرة ثوراتها وعودة الحركة غير الأيقونية إلى الظهور (يوسف،1990 م) .

ومن أهم خلفاء هذه الأسرة نقفور 802– 811م، و أهم أحداث عصره هو صراعه مع الخليفة هارون الرشيد، الذي رفض أن يدفع له الجزية المتفق عليها مع إيرين في بداية الأمر ثم أجبر على دفعها .

وأيضاً حارب نقفور البلغار، غير أنهم تمكنوا من هزيمته وقتله عام 811م (عوض، 2007م) . ثم حكم بعده ميخائيل الأول Michael (811– 813م) الذي كان رجل دين أكثر منه رجل دولة، واشتهر بحماسه للحركة الأيقونية وكانت سياسته ضعيفة فعُزِلَ (عمران، 2004م)، أما ليو الخامس (813– 820) آخر خلفاء الأيسوريين فقد واجه البلغار، ووقف ضد الأيقون، وحرم عبادة الصور، ولكن سرعان ما دبرت له مؤامرة وقتل على إثرها (عبيد، 2010م) .

مما تقدم يبدو من خلال دراسة الأسرة الأيسورية أن أهم دور قام به الأباطرة هو دور ليو الثالث المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة، ومن بعده قسطنطين الخامس، أما باقي الأباطرة فكان دورهم محدودا.

الأسرة العمورية 820 867م

كان ليو الخامس آخر أباطرة الأسرة الأيسورية (717–802) قد أشرك ابنه في الحكم لوراثة العرش، وعمل على استتاب الأمور الداخلية والخارجية، فعاد تكريم عباد الصور ؛ فأدى هذا الأمر إلى غضب أتباعه الذين ثاروا ضده، ودبروا له مؤامرة أدت لوفاته، فتسلم مقاليد الأمور أحد أتباعه يدعى ميخائيل العموري، فتأسست بذلك الأسرة العمورية (عمران، 2004م) .

تولى حكم الأسرة العمورية ثلاثة من الأباطرة وهم: ميخائيل الثاني (820– 829م)، ثيوفيلوس الأول (829– 842م)، وميخائيل الثالث (842– 867م)، وسميت بالعمورية نسبة إلى مسقط رأسهم مدينة عمورية•، وتعد هذه الأسرة من أقصر الأسر البيزنطية الحاكمة.

1- ميخائيل الثاني Michal II (820– 829):-

كان فلاحًا في بداية الأمر، ثم تدرج في السلم الوظيفي حتى وصل إلى أعلى المناصب في الجيش، واستهل حكم هذه الأسرة، ودام تقريبًا نصف قرن لم ينجز فيها شيئاً ماعدا موقف أباطرتها من الحركة غير الأيقونية ما بين معارض ومؤيد ومتشدد ومتساهل(يوسف، 1990م)، وكانت أهم مشكلة واجهت ميخائيل مشكلة الأيقونات، فقام بمعالجتها بإصدار أوامر بإطلاق سراح المنفيين بسبب الأيقونات بالعودة إلى ديارهم، وكان القصد من وراء ذلك ترك الحرية للمواطنين، غير أن أنصار الحركة الأيقونية لم يرضوا بذلك، وطالبوه بعودة الأيقونات، إلا أن ميخائيل رفض ذلك (عمران، 2004م)، على الرغم من أنه متحمس لمذهب تحطيم الصور والتماثيل الذي حاول إخفاءه (يوسف، 1990) .

• عمورية: مدينة قديمة في آسيا الصغرى، تأسست في الفترة الهلينية، وازدهرت في عهد بيزنطة ؛ فتحها المسلمون أيام الخليفة المعتصم (218– 227هـ/ 833 – 842 م) بعد حصار عدة أيام ،وهزم فيها البيزنطيون عام 838 م (غربال ،1965م) .

وأهم ما يميز عصر ميخائيل هو قيام بعض الثورات في الشرق والغرب، وفتح العرب المسلمين جزيرتي كريت• وصقلية••، أما فيما يخص بالثورات فكان منها ثورة توماس الصقلبي (821- 823م)، هذه الثورة هدفها الوصول إلى العرش، وأطلق عليها ثورة ؛ لأنها من الناحية السياسية كان هناك تحالفا بين توماس والمسلمين، وذلك بدعم من الخليفة المأمون(198- 218هـ/ 813- 833م)، حيث أمده بجيش كبير، ودينيا كان توماس يدافع عن قضية عباد الأيقونات فانضم الأيقونيون إليه، واجتماعيا قد رأى سكان آسيا الصغرى المثقلون بالضرائب في شخص توماس محررا لهم من الظلم والطغيان ؛ لذلك وجدت هذه الثورة قبولا عند البعض (عبيد،2010م)، واندفع توماس بقواته إلى آسيا الصغرى واستخف ميخائيل بذلك فأرسل قوات قليلة انهزمت في أول المعركة، حينها أحس بخطورة الوضع وبدأ في العمل على استرضاء الأيقونيين ولكنه فشل (عمران، 2004م)، واتجه توماس بجيشه فحاصر القسطنطينية برا وبحرا عام 821م، واستمر الحصار لعدة أشهر، ولكن مجهوداته لم تكلل بالنجاح ؛وذلك لعدة أسباب منها:

استعانة ميخائيل بالبلغار فضلا عن أن عباد الأيقونات الذين تعاطفوا مع ثورة توماس قد تخلوا عنه، بالإضافة إلى أسوار العاصمة المنيعة، وأيضا تمرد عدد من جيش توماس عليه، كل هذه الأسباب أدت إلى فشل ثورة توماس وانتهت بقيام ثورة ضده، وألقي القبض عليه وسلم إلى ميخائيل عام 823م، والذي أمر بقتله (عوض،2007م) .

تزامنت ثورة توماس مع هجوم العرب المسلمين على جزيرة كريت، وكانت أول محاولة بحرية أموية لفتح كريت قد جرت في عهد معاوية بن أبي سفيان عام 55هـ-673م، وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك 86-96هـ / 104-714م قامت محاولة أخرى لفتحها، وكلاهما فشل في ذلك، وفي عصر هارون

• كريت: (اقريطش) أكبر جزيرة باليونان تقع في شرق البحر المتوسط ، وتعتبر الحد الجنوبي لبحر إيجة وأكبر مدنها كانديا، واستولى عليها الرومان عام 67- 68 ق .م وسقطت في يد المسلمين عام 211هـ / 826م الذي انتزعها من الأباطرة البيزنطيين (غربال ،1965م).

•• صقلية : جزيرة بإيطاليا في جنوب أوروبا، وكانت تتمتع بالحكم الذاتي ،ويفصلها عن البر مضيق مسينا ، عاصمتها بالرمو تمثل أكبر جزر البحر المتوسط، وهي مثلثة الشكل، وقد استعمرها قديما الفنيقيون والقرطاجيون والأغريق ثم الرومان بعد انتصارهم على القرطاجيين في الحرب البونية الأولى عام (241 ق .م) ثم سيطرت عليها بيزنطة عام 535 م ،ومن بعدهم فتحها المسلمون بين عامي (212هـ و 264هـ / 827 و 877 م) أي ظلوا بها 263سنة، ودخل كثير من أهلها في الإسلام ونشأت بها جامعة ببالرمو، واشتهرت بكثرة مساجدها وظلت حتى فتحها النورمان عام (483هـ/ 1090م) ، (الحموي ، 1957م) وأيضا : (عطية الله ، 1951م).

الرشيد أرسل لها حملة عادت بالغنائم دون أن يستقر المسلمون بها. ثم جاءت سيطرة العرب المسلمين على كريت عام 212هـ / 827م وحاول ميخائيل استعادتها فأرسل لها حملتين عامي 828م – 829م ولكنهما فشلتا (عبيد، 2010م).

عندما خسر ميخائيل جزيرة كريت وجه اهتمامه إلى صقلية، التي أعد العرب المسلمون استعدادات لفتحها من أجل فرض سيطرتهم على البحر المتوسط، وقد استغرق فتحها وقتاً طويلاً، ولكن في النهاية فتحت، وظلت تحت حكم العرب المسلمين إلى أن استولى عليها النورمان• عام 484هـ/ 1091م (عبيد،2010م).

مات ميخائيل بعد حكم دام تسع سنوات دون أن يحقق الوحدة الدينية للإمبراطورية، وخلفه ابنه من بعده (يوسف، 1990) .

2- ثيوفيلوس الأول (Theophilust 829- 842م):

كان شاباً مثقفًا مهيأ لقيادة الحروب، فقاد حملات عدة، وكان رجل اقتصاد وعمران، وكانت له اهتمامات بالتعليم والمدارس، وأيضاً اهتم بالمسائل الدينية إلا أنه كان عدوا لعباد الصور. وزاد الأمر سوءا زواجه من الأميرة ثيودورا التي كانت من أشد المتحمسين لعبادة الصور، وكان موقفها قريب شبيه بموقف إيرين من قبل (عمران،2004م)، وفي عهده بلغت ذروة التأثير العربي الإسلامي على العالم البيزنطي في المجالات الثقافية والفنية، على الرغم من أن عهده شهد حروبا مع العرب المسلمين، حيث تقابل الطرفان في معركة عند نهر هاليس (halgs)•* شمال آسيا الصغرى، انتهت بهزيمة ثيوفيلوس الذي عاد إلى القسطنطينية، ثم توجهت القوات الإسلامية إلى فتح عمورية ودخلوها عنوة (عبيد، 2010م)، وصار الطريق إلى القسطنطينية مفتوحاً، ولكن نظرا لحدوث اضطرابات وصراعات داخلية في الدولة العربية الإسلامية اضطر العرب المسلمون إلى العودة لبلادهم (عمران، 2004م).

• النورمان : هم خليط من شعوب أسكندنافيا ، استقروا في الدانمرك والسويد والنرويج، وكانوا ذوي أصول جرمانية، تميزهم ثقافتهم الخاصة، واعتادوا الملاحة ببحر البلطيق وبحر الشمال، (وللمزيد عن المعلومات ينظر : عمران ،1986م).

• هاليس (Halys) : هو نهر صغير يصب في البحر الأسود في أقصى خرسيون؛ أي يقع شمال آسيا الصغرى . (الشيخ ، 2000م).

3- ميخائيل الثالث (Michael III 842- 867)م :

هو ابن ثيوفيلوس كان لا يزال قاصرًا، فتولت أمه ثيودورا الوصاية عليه، وقد استمرت وصايتها من 842- 856م، ولما كانت ثيودورا مثل إيرين من مناصري الصور، فقد أعادت عام 843م عبادتها، وارتاحت لهذا القرار بموافقة الأغلبية من الشعب البيزنطي .

ظهرت الصور و الأيقونات على حوائط الكنائس في العاصمة، و لم تتخذ أية إجراءات ضد محطمي الصور، إذ لم تضطهدهم ولم تنكل بهم، وكان لهذا السلام الديني أثره في إنعاش البلاد بفترة من الهدوء والسلام اللذين لم يقدر لهما أن يستمرا طويلاً(يوسف، 1990م) . حيث حدثت اضطرابات داخلية أدت إلى طرد ثيودورا، ولما بلغ ميخائيل سن الرشد كان مدمنا لشرب الخمر، وأطلق المؤرخون عليه لقب السكير، فترك أمور الدولة إلى صديقه بازيل المقدوني، ومنحه لقب قيصر، الذي رد الجميل إلى ميخائيل إذ قام باغتياله عام 867م، وبه تبدأ أسرة جديدة عرفت في التاريخ البيزنطي باسم الأسرة المقدونية (الشيخ، 2000م).

المقارنة بين الأسرتين الأيسورية و العمورية 717 – 867 م

ليس المقصود بالمقارنة هنا إيجاد أوجه الشبه والاتفاق، ولكن هناك- أيضًا- أوجه الاختلاف الذي جعل كلا الأسرتين وصل إلى العرش في ظروف معينة، فكلاهما وجد الإمبراطورية على شفا هاوية، ولكن لقوة الأسرتين وصمودهما استطاعتا النهوض بها، وجعلها إمبراطورية قوية، وبناءً على ما قمنا بدراسته من خلال اطلاعي على بعض المراجع استنتجت الآتي :

وجد الأيسوريون أن الإمبراطورية في عهد الأسرة الهرقلية قد سادتها الفوضى والاضطرابات، حيث تعرضت لعدة مشكلات ترتب عليها فشلها في الاحتفاظ بممتلكاتها في شمال أفريقيا(العريني، 1982م)، ومن أسباب ضعف الإمبراطورية في عصر هذه الأسرة هو: الاختلاف المذهبي، واستخدام أسلوب المؤامرات، وانعدام الوحدة، فأدى هذا إلى التمزق الاجتماعي داخل الإمبراطورية ؛ لأن السياسة الدينية لهذه الأسرة لم تأت بالثمار المرجوة، بل زادت من سلبيات الأمور، إذ زاد الشقاق الديني بين الشرق والغرب، و الإمبراطورية في عصر هذه الأسرة كانت تنقصها الخبرة في بعض الأمور الإدارية، لذلك

عجزت عن الدفاع عن أقاليمها الشرقية، وخاصة الشام، بالإضافة إلى انغماس بعض الأباطرة في حياة اللهو والترف، وغيرها من الأسباب التي وجد فيها ليو الأيسوري فرصته ليؤسس أسرة جديدة، ألا وهي الأسرة الأيسورية (717–802م) (الدينالي، 2008م).

فكما كان الصراع على العرش سببا في وصول ليو الأيسوري للعرش فالسبب ذاته كان سبب في وصول ميخائيل الثاني للعرش، فالصراع بين أباطرة الأسرة الأيسورية من أجل البقاء على العرش كان سببا ضعفها (العريني، 1982م).

وفي الفترة الممتدة من 802– 820م تعتبر هذه الفترة ضائعة بين عهدي الأسرتين؛ لأن من تولوا فيها العرش كانوا مغامرين طامعين في العرش والثروة، وهم أباطرة ضعفاء، لم تكن لهم صلة بالحكم الذي وصلوا إليه بمحض الصدفة (الدينالي،2008م)، وأيضاً العامل الديني الذي يتمثل في الصراع غير الأيقوني الذي تزعمه ليو الأيسوري ومن بعده خلفاؤه على العرش، إضافة إلى ازدياد الأخطار الخارجية على الدولة المتمثلة في العرب المسلمين والبلغار، بالإضافة إلى الخلاف الديني الذي أدى إلى التباعد بين الشرق والغرب، وزاد من هذا التباعد تتويج شارلمان إمبراطورا رومانيا في الغرب عام 800م، كل هذه الأسباب وغيرها مكنت ميخائيل من الوثوب على العرش، مؤسسًا أسرة جديدة في تاريخ الإمبراطورية وهي الأسرة العمورية (الدينالي، 2008م).

اشتهر عصر الأسرة الأيسورية في التاريخ البيزنطي بأنه عصر مناهضة عبادة الصور المقدسة والأيقونات، وهي الحركة التي امتدت عبر تاريخ هذه الأسرة وجزءا من تاريخ الأسرة العمورية في بيزنطة، التي انتهت عام 843م بما هو معروف العودة إلى الأرثوذكسية (الشيخ، 2000م)، لذلك تذبذبت السياسة الدينية لكلا الأسرتين، حيث انقسم الأباطرة بين مؤيد ومعارض للحركة الأيقونية، و اتفق كل من ليو الثالث الأيسوري وميخائيل الثاني العموري في اتباع سياسة اضطهاد عباد الصور، في حين اتفق كل من قسطنطين الخامس وثيوفيلوس في سياستهم تجاه عباد الصور، حيث نكلوا بهم واضطهد وهم، إلا أن سياسة كليهما لم تلق الفشل، ولكنها مع الوقت تذبذبت سياستهما بين الاعتدال والاضطهاد. أما إيرين وثيودورا فاتفقتا على إعادة الدولة إلى الأيقونية، حيث عقدت في عهدهما المجامع الدينية التي أقرت عبادة الأيقونات (الدينالي،2008م) .

اهتم ليو بالأمور الداخلية، حيث أصلح النظام الإداري والمالي والتجاري، واهتم باستصلاح الأراضي، وتحسين طرق الزراعة ووسائلها، والرقي بالصناعات، حيث تزايدت مراكز الصناعة، ونشطت الطوائف والنقابات في القيام بالصناعات والحرف المختلفة، واعتنى بالتجارة ووسائل نقلها وتسويقها، واهتم بالجيش فأعاد تنظيمه وأمده بالجند والأسلحة، وسار على نهجه ابنه قسطنطين الخامس الذي أتم ما بدأه والده في إصلاح التعليم، واهتم بالزراعة التي تقدمت في عهده، واهتم بالتجارة وتأمين الطرق، ومنح الدولة فترة انتعاش(الشيخ،2000م)، وبذلك صارت الدولة قوية متماسكة في عصر إيرين، حين ساد الإمبراطورية الوهن والضعف حيث ضعفت، الإدارة بسبب تركيزها على الجانب الديني، ومحاولاتها إعادة عبادة الأيقونات (الدينالي،2008م).

أما ميخائيل العموري فبدأ في إصلاح شؤون الدولة، حيث اهتم بالشؤون الداخلية وإصلاحها، وتوقف في عهده اضطهاد الأيقونيين، وخاض حروبًا خارجية ضد العرب المسلمين، وقام بإنقاذ الإمبراطورية وحمايتها من الصراعات الداخلية، وبذلك وضع أساسا لأسرة جديدة، قدر لها أن تسير بالدولة إلى بر الأمان.

أما ابنه ثيوفيلوس المعروف بتعلقه بالثقافة الإسلامية والعلوم العربية، فقد اهتم بنظام الثغور حيث جعل من المواجهات الخارجية شغله الشاغل (الشيخ، 2000م).

وقد وجد الأيسوريون الدولة البيزنطية تعاني عقب أسرة هرقل من ضعف في مختلف جوانب الحياة؛ أما العموريون فوجدوا الدولة البيزنطية محتفظة بقوامها وقوتها (الدينالي،2008م) وسياسيا اعتمدت سياسة الأباطرة الأيسوريين بداية من ليو الأيسوري على إصلاح الأمور الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، حيث أصدر ليو مجموعة من القوانين تناولت مختلف جوانب الحياة (العريني،1982م).

لذلك فإن الحياة الاقتصادية لكلا الأسرتين تذبذبت؛ لأنها كانت تتوقف على مدى استقرار الحياة السياسية البيزنطية، فإذا حافظت الدولة على أمن حدودها وممتلكاتها وطرق تجارتها فإن اقتصادها يكون بخير، وإن تعرضت للأخطار الخارجية فيكون لذلك مردود سلبي على اقتصادها.

ISSN : 2523 – 1871

أما اجتماعيًا فاحتفظت كلا الأسرتين بتقسيمها الاجتماعي، الذي يتألف من الطبقة الحاكمة على رأسها الإمبراطور، ثم يأتي الأغنياء وطبقة الجند، ثم الفقراء وعامة الناس (الدينالي، 2008م).

تولى حكم الأسرة الأيسورية خمسة أباطرة، وإذا أضفنا خلفاءهم صاروا تسعة، أما الأسرة العمورية فقد شمل ثلاثة أباطرة، ولا نجد من بين الأباطرة العموريين من يصل إلى دور ليو الأيسوري عسكرياً وقانونياً.

ونلاحظ أيضا أن قوة المسلمين في مستهل عصر الأيسوريين هددت البيزنطيين في الصميم عندما قاموا بمحاولاتهم المتكررة لفتح القسطنطينية؛ أما في العهد العموري فاقتصر تهديدهم على الأطراف الجزرية فقط (عوض، 2007م).

سبق وأشرنا إلى أن ليو الثالث أصدر القوانين التي نظمت الحياة السياسية والاقتصادية والدينية، أما ميخائيل العموري فلم يصدر أي قوانين؛ لأن الأسرة العمورية لم تهتم بالجانب القانوني، بل ساروا على نهج قوانين ليو(الدينالي، 2008م).

لم يحدث في عصر الأسرة الأيسورية حركة مضادة ومعارضة في حجم حركة توماس، خاصة وأنها دعمت من جانب الخلافة الإسلامية (عوض، 2007م).

تميزت الأسرتان بأباطرتها الذين استخدموا الدبلوماسية والسياسية والحكمة والدهاء، ولكن لم يمنع ذلك من استخدامهم الشدة والقوة والترهيب والترغيب في بعض الأحيان، بالنسبة للدبلوماسية كما حدثت مع إيرين عندما عقدت هدنة مع الخلافة العباسية، نتج عنها دفع أموال طائلة (الدينالي،2008م).

شهدت الإمبراطورية فترة من الرخاء والهدوء في عهد ثيوفيلوس، وهو يتفق مع عهد قسطنطين الخامس، فعهدهما كان مليئا بالنشاطات العلمية، وكل منهما كان إدارياً ومتحمساً في رعايته للثقافة، وشهد عهدهما نهضة في العلوم الدنيوية. أما من ناحية الشؤون الخارجية فلم تكلل حروبه بالنجاح دائماً، وبوفاة ثيوفيلوس أصبحت زوجته ثيودورا إمبراطورة وصية على ابنها القاصر، على عكس إيرين حيث اختلفت عنها في أنها لم تنفرد بالحكم، ولم تنزع منها روح الأمومة كإيرين، ولم تتجرد من الإنسانية، كما

أمنت ثيودورا نفسها من المسلمين بدفع الجزية، ولكنها جددت الحرب ضدهم، وقامت بالإنشاء والتعمير، وبذلك أعادت الرفاهية إلى بيزنطة.

سقطت الأسرة الأيسورية بسبب انتهاء سلالتها وأصبح العرش مطمعاً للمغامرين، لأن تشبث الإمبراطورة إيرين بالعرش سبب ضعف الدولة وقاد إلى نهاية الأسرة (الدينالي، 2008م). أما سبب سقوط الأسرة العمورية فلم يكن لضعفها أو لوجود أخطار خارجية تهددها وإنما سقطت وهي في أوج قوتها فنهايتها جاءت نتيجة الخيانة التي كان لها الأثر الكبير في تحديد مصير هذه الأسرة حيث قام أحد المقربين من ميخائيل الثالث ويدعي بازيل المقدوني بقتل ميخائيل الثاني ليؤسس أسرة جديدة عرفت بالأسرة المقدونية؛ وهذا يدل على أن تاريخ هذه الأسرة بدأ بالخيانة وانتهى بها (عوض، 2007م).

وختاما فقد تميزت الأسرتان كغيرها من الأسر باليسر والعسر والقوة والضعف؛ وكان لهما خصائص في بعض الجوانب، كما انتابهما الغموض في البعض الآخر ومع ذلك تركت تراثاً وثقافة وحضارة.

الخاتمة

1- بعد هذه الدراسة–التي أتمنى من الله أن تكون مستوفية– لاحظت وجود اختلاف كبير بين الأسرتين في تاريخ الدولة البيزنطية، فكان هذا الاختلاف يتمثل في السياسة الدينية لكل أسرة، فهي تركت الجدل الديني بين حركة الأيقونات، وغير الأيقونات فنتج عنها انقسام الأباطرة بين مؤيد ومعارض، وهذا يعتبر أهم لمحة في تاريخ هاتين الأسرتين .

2- وهذا جعلنا نقول: إن الأسرة العمورية هي امتداد للأسرة الأيسورية، مع اختلاف في الاسم فقط إذ سميت كل أسرة باسم مؤسسها، ولا سيما أن الأسرة العمورية وقعت بين أسرتين كبيرتين، في صورة الأسرة الأيسورية من ناحية والأسرة المقدونية من ناحية أخرى؛ أي أن الأسرة العمورية أصبحت بمثابة جسر بينهما.

3- ونرى من خلال هذه الدراسة أنَه يوجد أباطرة أكفاء يعتمد عليهم في الأمور السياسية أمثال ليو الثالث الأيسوري وميخائيل الثاني وقسطنطين الخامس، إلا أنهم كانوا قليلي الحظ، وفي الوقت نفسه تولى

العرش أباطرة ضعفاء، ساهموا بشكل كبير في إضعاف أسرهم، خاصة الذين حكموا في الفترة الممتدة من 802–820م، والذين وصلوا إلى العرش بمحض المصادفة.

4- ومن ضمن الاستنتاجات اهتمت الأسرتان بإنقاذ الإمبراطورية وحمايتها من الصراعات الداخلية والخارجية، وأيضا اهتمت كل منهما بالنظم الإدارية المالية والاقتصادية، فضلا عن تميزهما باستخدام الدبلوماسية، ونستنتج أيضا أن قوة المسلمين في العصر الأيسوري وصلت إلى قلب بيزنطة القسطنطينية، عندما قاموا بمحاولات لفتحها، وهذا أثبت أن عاصمتهم ليست بعيدة المنال، ومع ذلك لم يتمكن المسلمون من فتحها، ولكن تمكنوا من فتح كريت وصقلية، وفقدت بذلك بيزنطة سيطرتها على البحر المتوسط، أما في العصر العموري فصاروا يهددون الأطراف الجزرية فقط.

وأخيراً فما كان من تقصير بهذا العمل فهو من نفسي، وما كان به من توفيق فمن الله عز وجل، وأسأله جل شأنه أن يجعل عملي هذا موفقاً مقبولاً، وأن ينفع به، اللهم آمين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

1. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن محمد (1957م)، **معجم البلدان**، مج 3،بيروت، دار بيروت.
2. الطبري،أبو جعفر بن محمد بن جرير (1879م)، **تاريخ الرسل والملوك**،ج8،القاهرة .

ثانيا: المراجع العربية:

3. البهنسي،عفيف (1982م)، الفنون القديمة، لبنان، دار الرائد اللبناني.
4. الدينالي، نورا إبراهيم (2008م)، الدولة البيزنطية في فترة حكم الأسرتين الأيسورية والعمورية 717–967م، بنغازي، جامعة قاريونس .
5. الشيخ، محمد محمد مرسي (2000م)، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية الإسكندرية، جامعة الإسكندرية.
6. العبادي، أحمد مختارو سالم، السيد عبد العزيز (1972م)، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت، جامعة بيروت العربية.
7. عبيد، طه خضر (2010م)، تاريخ الدولة البيزنطية 284– 1453م الأردن، دار الفكر .

8. العريني، السيد الباز (1982م)، الدولة البيزنطية 323– 1081م، بيروت، دار النهضة العربية .
9. عمران، محمود سعيد (1986م)، معالم تاريخ أوروبا في العصورالوسطى بيروت، دار النهضة العربية.
10. عمران، محمود سعيد (2004)، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، بيروت، دار النهضة العربية.
11. عوض، محمد مؤنس (2007م)، الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
12. منصور، طارق (2003م)، بيزنطة والعالم الخارجي " البيزنطيون والعالم الإسلامي " ج 1 القاهرة دار مصر العربية .
13. يوسف جوزيف نسيم (1990م)، **تاريخ الدولة البيزنطية** " 284– 1453م" الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية .

ثالثا : المراجع المترجمة :

14. فشر، هـ . ا. ل (1969م)، **تاريخ أوروبا بالعصور الوسطي**، ترجمة محمد مصطفي زيادة، السيد الباز العريبي، القاهرة، دار المعارف .

رابعا : دوائر المعارف والموسوعات :

15. عطية الله، أحمد (1951م)، دائرة المعارف الحديثة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
16. غربال، محمد شفيق (1965م)، **الموسوعة العربية الميسرة**، القاهرة، الدار القومية .

خامسا / المراجع الأجنبية

17. Ostogorsky ،George(1956) ،History of The Byzantine State ،Oxford ، Basil Black weel.
18. Vasiliev ، A.A،(1958), History of The Byzantine Empire “324-145” ،Volume ،I ،The University Wisconsinn،.